

مِنْ أَجْلِ ثَقَافَةِ شِيعَةِ زَهْرَائِيَّةِ أَصِيلَةٍ مِنْ أَجْلِ نَهْضَةِ ثَقَافَةِ حُسَيْنِيَّةِ زَهْرَائِيَّةِ مُتَحَضِّرَةٍ

مِنْ أَجْلِ وَعْغِي مَهْدَوِيَّ زَهْرَائِيَّ رَاقٍ

بِرَنَامَج

قُرْآنِهِم

عَبْدُ الْحَلِيمِ الْغَزِّي

منشورات موقع القمر

بَرْنَامَجُ قُرْآنُهُم

بَرْنَامَجُ تَلْفِزِيُونِي عَرَضَتُهُ قَنَاةُ الْقَمَرِ الْفَضَائِيَّةِ

وَبطَرِيقَةِ الْبَثِّ الْمُبَاشَرِ

الْحَلَقَةُ (19)

يَوْمُ الْثَلَاثَاءِ

بِتَارِيخٍ: 2 شَوَّالٍ 1438 هـ

الْمَوَافِقُ: 2017/6/27 م

يا زقراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

برنامج قُرْآنُهُم

(سُورَةُ الْأَعْرَافِ - الجزء السادس عشر)

قُرْآنُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِم"

سَيِّدِي يَا صَاحِبَ الْأَمْرِ قُرْآنُكُمْ نُورٌ

كَلَامُكُمْ نُورٌ... يَا نُوراً عَلَى نُورٍ...

يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُرْآنَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فَقَطْ وَفَقَطْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ..

لا زلنا في أجواء سورة الأعراف، وصلنا إلى الآية الرابعة والثمانين وهي آخر آية من الآيات التي تناولت بنحو مجمل قصة لوط النبي، وقد بقيت للحديث بقية لم أتمكن من إتمامها وإكمالها .

الآيات من سورة الأعراف فيما يرتبط بقصة لوط النبي وقومه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ لا أريد أن أعيد ما تقدّم من حديث فيما يرتبط بهذا العمل الشنيع (اللواط) الذي يؤدي إلى هدم بناء التكوين الفطري عند الإنسان، ومر الحديث بهذا الشأن في الحلقة المتقدمة.

وصل بي الحديث إلى توقيع إسحاق بن يعقوب الرسالة التي وردت من طريق السفير الثاني من سفراء الغيبة الصغرى، وقد جاءت إلى إسحاق بن يعقوب، والرسالة كانت بخطّ إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، من جملة ما جاء في هذه الرسالة الشريفة: وَأَمَّا أَبُو الْخَطَّابِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْنَبٍ الْأَجْدَعُ -كان معاصراً للإمام الصادق وكان من أصحاب إمامنا الصادق صلوات الله عليه ولكنه ضلّ وذهب بعيداً في ضلاله ومات ملعوناً ضالاً وقصته طويلة- وَأَمَّا أَبُو الْخَطَّابِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْنَبٍ الْأَجْدَعُ فَمَلْعُونٌ وَأَصْحَابُهُ مَلْعُونُونَ فَلَا تُجَالِسْ أَهْلَ مَقَالَتِهِمْ -هذا الرجل الضالّ أبو الخطّاب هذا قُتِلَ في زمن الإمام الصادق، قتله العباسيون، لكنّ منهج ضلالته بقي موجوداً إلى زمان هذه الرسالة- بحيث أنّ الإمام صلوات الله عليه يقول: (فَلَا تُجَالِسْ أَهْلَ مَقَالَتِهِمْ) هو لا يتحدث عن أبي الخطّاب نفسه وعن أتباعه الذين عاشوا في زمن الإمام الصادق، وإمّا يتحدث عن أهل مقلاتهم، المقالة هنا: العقيدة، عن الذين يعتقدون بنفس عقيدتهم، فَلَا تُجَالِسْ أَهْلَ مَقَالَتِهِمْ -وهؤلاء مستمرّون إلى يومنا هذا- فَلَا تُجَالِسْ أَهْلَ مَقَالَتِهِمْ -وينتشرون في الوسط الشيعي، هناك مجموعات من هؤلاء الخطّابية لا يعرف بعضهم بعضاً، لا علاقة لبعضهم ببعض الآخر- فَلَا تُجَالِسْ أَهْلَ مَقَالَتِهِمْ فَإِنَّ مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَأَبَائِي مِنْهُمْ بُرَاءٌ.

الَّذِي قَادَنِي لِلإِشَارَةِ إِلَى رِسَالَةِ إِسْحَاقَ بْنِ يَعْقُوبَ هُوَ الشَّيْءُ مِنْ بَعْضِ الْجِهَاتِ فِيمَا بَيْنَ الْخَطَّابِيِّينَ وَاللُّوطِيِّينَ هَؤُلَاءِ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ، وَإِنْ كَانَ اللَّوْطِيُّونَ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ أَقَلُّ سَوْءاً مِنَ الْخَطَّابِيِّينَ، أَتَعْلَمُونَ لِمَاذَا؟

مِنْ نَفْسِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، مِنَ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ وَالْثَمَانِينَ مِنْ نَفْسِ سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ - أَخْرَجُوا لُوطاً وَعَائِلَتَهُ - أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ، لِمَاذَا؟ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ فَهَؤُلَاءِ قَوْمُ لُوطٍ مَاذَا قَالُوا عَنْ لُوطٍ وَعَائِلَتِهِ؟

أَوَّلًا أَثْبَتُوا دِينَهُمْ وَأَثْبَتُوا إِيمَانَهُمْ وَأَثْبَتُوا طَهَارَتَهُمْ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ أَثْبَتُوا نَجَاسَةَ أَنْفُسِهِمْ.

الْخَطَّابِيُّونَ فِي زَمَانِنَا خُصُوصاً هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ الْمَوْجُودَةُ فِي لَنْدُنْ، وَحَتَّى الْمَجْمُوعَاتُ الْآخَرَى، هَؤُلَاءِ يَنْسِبُونَ اللَّوْطَ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ، هَؤُلَاءِ يَنْسِبُونَ اللَّوْطَ إِلَى صَاحِبِ الْأَمْرِ، فَقِطْعاً هُنَاكَ فَرْقٌ كَبِيرٌ بَيْنَ قَوْمِ لُوطٍ الَّذِينَ قَالُوا عَنْ نَبِيِّهِمْ وَعَنْ عَائِلَتِهِ: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ بَيْنَمَا هَؤُلَاءِ الْخَطَّابِيُّونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ الْآنَ؟ مَا هُوَ مَعْتَقَدُهُمْ؟

مَعْتَقَدُهُمْ فِي إِمَامِهِمُ الَّذِي يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ هُوَ صَاحِبُ الْأَمْرِ، أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ فِي مَجَالِسِهِمُ الْخَاصَّةِ يُمَارِسُ اللَّوْطَ، فَهُمْ يَنْسِبُونَ اللَّوْطَ إِلَى إِمَامِ زَمَانِهِمْ، يَنْسِبُونَ اللَّوْطَ إِلَى صَاحِبِ الْأَمْرِ.

بَيْنَمَا هَؤُلَاءِ قَوْمُ لُوطٍ مَاذَا قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ وَعَنْ عَائِلَتِهِ؟ ﴿قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾.

وَقَدْ تَنَاوَلْتُ مَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ الَّذِي يَقْرَأُ بَعْدَ زِيَارَةِ الْإِمَامِينَ الْعَسْكَرِيِّينَ، وَأَنَا أَقْرَأُ مِنْ مَفَاتِيحِ الْجَنَانِ: (وَاجْعَلْ لِّعَائِنِكَ الْمُسْتَوْدَعَةَ فِي مَنَاحِسِ الْخَلْقَةِ وَمَشَاوِيهِ الْفِطْرَةِ دَائِرَةً عَلَيْهِمْ وَمُوكَّلَةً بِهِمْ وَجَارِيَةً فِيهِمْ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ وَغَدُوٍّ وَرَوَاحٍ) الدُّعَاءُ هُنَا لِسَانُهُ هَكَذَا يَقُولُ مُتَوَجِّهاً إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُسْتَخْرَجَ اللَّعْنَاتُ مِنْ مُسْتَوْدَعِهَا وَأَنْ يَصَبَّ هَذِهِ اللَّعْنَاتُ عَلَى إِبْلِيسَ وَوَلَدِهِ وَجُنُودِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَجِيُوشِهِ، هَذِهِ اللَّعْنَاتُ الْمُسْتَخْرَجَةُ مِنْ مُسْتَوْدَعِ اللَّعْنَةِ لَهَا مِنَ الْقُوَّةِ بَحِثٌ هَكَذَا يَقُولُ الدُّعَاءُ: (وَاجْعَلْ لِّعَائِنِكَ الْمُسْتَوْدَعَةَ فِي مَنَاحِسِ الْخَلْقَةِ وَمَشَاوِيهِ الْفِطْرَةِ دَائِرَةً عَلَيْهِمْ - هَذِهِ اللَّعَائِنُ الْمُسْتَخْرَجَةُ مِنْ هَذِهِ الْمُسْتَوْدَعَاتِ تَكُونُ دَائِرَةً عَلَى إِبْلِيسَ وَأَتْبَاعِهِ - وَمُوكَّلَةً بِهِمْ وَجَارِيَةً فِيهِمْ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ وَغَدُوٍّ وَرَوَاحٍ) فَأَيُّ لَعْنَةٍ هَذِهِ الَّتِي حِينَئِذٍ تُسْتَخْرَجُ مِنْ مُسْتَوْدَعِهَا هَكَذَا تَفْعَلُ بِإِبْلِيسَ وَأَتْبَاعِهِ.

السُّؤَالُ هُنَا: وَأَيُّ مُسْتَوْدَعٍ هَذَا لِلْعَنْةِ؟! هَذِهِ اللَّعْنَةُ الْهَائِلَةُ الَّتِي هَكَذَا تَفْعَلُ بِإِبْلِيسَ وَأَتْبَاعِهِ تُسْتَخْرَجُ مِنْ مُسْتَوْدَعِ اللَّعْنَةِ، مُسْتَوْدَعُ اللَّعْنَةِ هَذَا أَيْنَ هُوَ؟ مَنَاحِسُ الْخَلْقَةِ وَمَشَاوِيهِ الْفِطْرَةِ، (وَاجْعَلْ لِّعَائِنِكَ الْمُسْتَوْدَعَةَ أَيْنَ اسْتَوْدَعَتْ هَذِهِ اللَّعَائِنُ؟ فِي مَنَاحِسِ الْخَلْقَةِ وَمَشَاوِيهِ الْفِطْرَةِ).

مِنْ مَصَادِيقِ هَذِهِ الْمَنَاحِسِ وَمِنْ مَصَادِيقِ الْمَشَاوِيهِ هُمْ هَؤُلَاءِ اللَّوْطِيُّونَ مِنْ أَيِّ فِرْقَةٍ كَانُوا، فَمَا بِالْكَ بَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَعَلُوا اللَّوْطَ دِيناً وَعِبَادَةً يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ وَيَنْسِبُونَهَا إِلَى آلِ مُحَمَّدٍ، يَنْسِبُونَ اللَّوْطَ إِلَى إِمَامِ زَمَانِنَا.

وَاجْعَلْ لِّعَائِنِكَ الْمُسْتَوْدَعَةَ فِي مَنَاحِسِ الْخَلْقَةِ، قِطْعاً هَذِهِ الْمَجْمُوعَاتُ سَتَكُونُ هِيَ أَسْوأَ مَجَامِيعِ اللَّوْطِيِّينَ، فَهَؤُلَاءِ سَيَكُونُونَ مُسْتَوْدَعاً لِلْعَنْةِ.

هذا هو السبب الذي يكون وراء هذه الأحكام كما بينَ إمام زماننا: (فَلَا تُجَالِسْ أَهْلَ مَقَالَتِهِمْ) فَرَّ منهم، هؤلاء مُستودع للجنة، هؤلاء مناحس الخلقة، هؤلاء مشاويه الفطرة، كما قُلت: اللواط يهدم بناء التكوين الفطري عند الإنسان، يشوه الفطرة، لذا قال الإمام: (فَلَا تُجَالِسْ أَهْلَ مَقَالَتِهِمْ فَإِنَّ مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَأَبَائِي مِنْهُمْ بُرَاءٌ).

وحتى ما جاء في حكم الزوجة الشيعية الموالية لإمام زمانها إذا كانت متزوجة من خطابي لا يحل لها البقاء معه وعليها أن تنفصل عنه وأن تعتدَّ عدة الوفاة وليس عدة الطلاق، للتطهير أكثر، وللطهارة أعمق، ولجعل الفاصلة أقوى، وأن تعامله معاملة الميت، لذلك تعتدَّ عدة الوفاة، وهناك تفاصيل أخرى في الأحكام، لا أريد أن أتطرق لكل صغيرة وكبيرة.

ما جاء في سورة الذاريات هذا الوصف وصفٌ خطير: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ -الآيات هنا تُخرج اللوطيين من وصف الإسلام- ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ قطعاً باعتبار أن النبي قد أقام عليهم الحجج، قد يكون من اللوطيين ما لم تقم عليه الحجج قد لا يشمل هذا المعنى، فالقصة هنا قصة نبي مع قومه أقام عليهم الحجج تلو الحجج.

أما بالنسبة للخطابين فحالهم أسوأ من هذا الحال، كما مرّ وكما تبين من خلال الآيات والروايات والأحاديث الشريفة.

الآية الرابعة والثمانون: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ -تحدثت عن عاقبة قوم لوط- ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ومر الحديث بشأنها.

الآية التي بعدها تنقلنا إلى قصة شعيب النبي: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ و(مدین) اسم لمنطقة، اسم لأرض، اسم لبلد، اسم لبلد تقع في بلاد الشام.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ بينت في الحلقات المتقدمة من أن النبوات التي جاء ذكرها في الكتاب الكريم تتخذُ خطوطاً واتجاهات:

الخط الآدمي ما بين أبينا آدم إلى نوح النبي ويستمر، ولكن يمكن أن نسمي ما بعد نوح النبي نسمي هذا الخط بالخط النوحى نسبةً إلى النبي نوح، فالخط الآدمي يقع فيه هابيل وبعد ذلك هبهُ الله والتسلسل الأنبيائي المتواصل إلى نوح النبي عبر إدريس النبي، فنوح، هود وصالح، وشُعيب أيضاً هو في هذه السلسلة، فشُعيب ليس في سلسلة الخط الإبراهيمي، وإنما في سلسلة الخط الآدمي، لوط هو في سلسلة الخط الإبراهيمي، شعيب في سلسلة الخط الآدمي من الأنبياء.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ألا تلاحظون نفس التعابير، بينما في قصة لوط الدعوة هي الدعوة ولكن في قصة لوط مباشرة ذهبت الآيات: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾.

بينما حين نذهب إلى ذكر نوح النبي ماذا قال لقومه؟ ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وهود قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

وهذا شعيب يقول: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ إلى آخر كلامه الذي سنأتي عليه.

الشعارات هي هي، والألفاظ هي هي، والدعوة هي هي، قطعاً الأنبياء جميعاً شعاراتهم هي هي، عباراتهم مضامينهم هي هي، ولكن قد تكون هناك اختلافات بحسب خصوصية كل نبي، بحسب شؤون كل أمة بعث إليها ذلك النبي، زماناً، مكاناً، ظروفًا، وسائر الملابسات الأخرى التي ترتبط بحياتهم وثقافتهم وعاداتهم، لكن الصياغة القرآنية التي عنونت دعوة نوح ودعوة هود وكذلك دعوة صالح: ﴿وَإِلَىٰ مُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إلى آخر كلامه.

شعيب: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هناك استمرارية على نفس الألفاظ، نفس المصطلحات، والقرآن يبين لنا ذلك يريد أن يشير إلى هذه الحقيقة من أن هذه المجموعة من الأنبياء تشكل خطأ واحداً هو الخط الآدمي.

نعود إلى قصة شعيب النبي وقوم مدين: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البينة التي جاءتهم ما هي؟

البينة التي جاءتهم من ربهم هو شعيب نفسه، بعلمه، بدعوته، بإبراهيمه وبما صدر من معجزة على يده، كل الأقوام طالبوا أنبياءهم بمعجزات، حتى وإن لم تذكر تفاصيل هذه المعجزات في الكتاب الكريم أو في الأحاديث، ما كل الأحاديث الشريفة وصلت إلينا.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

الآية تتحدث عن بينة جاءتهم، وتفرع على ذلك أن نبههم يطالبهم بماذا؟ ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ ما هو الفرق بين الكيل والميزان؟

الميزان قد يكون اسماً للآلة التي نزن بها الأشياء، وقد يكون اسماً لعملية الوزن بغض النظر عن الآلة، فالميزان عنوان للآلة التي تستعمل في الوزن، والميزان عنوان لنفس عملية الوزن، فحينما أقوم بعملية وزن بأي آلة كانت، بأي نظام كان، القيام بهذه العملية هو قيام بميزان، العملية نفسها هي ميزان، ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾.

أما الكيل: الكيل هو عنوانٌ لآلية حسابٍ ومعرفةٍ مقادير ما يُكال، الذي يُكال هو الذي يُعرفُ مقدارهُ بآلة المكيال، والمكيال: وعاء، أي وعاء إذا اتَّفَقَ عليه في الكيل يمكن أن يكون مكيالاً، أي وعاء من الأوعية، صغيراً كان أم كبيراً، أي أية يمكن أن تكون مكيالاً بحسبِ اتفاقِ أهل السوق، بحسبِ اتفاقِ أهل البيع والشراء.

وقديماً كانوا يستعملون الكيل وحتى في زماننا هذا، في زماننا هذا أيضاً يُستعمل الكيل، على سبيل المثال: هذه الناقلات التي مثلاً تنقل الحصى أو التراب أو الجص أو الرمال أو أمثال ذلك أو الطين وتحسب على أساس عدد السيارات، كم سيارة من التراب اشترينا؟ هذا كيل، هذا ما هو بميزان، هذا كيل، هذه عملية كيل، عملية الكيل هي عملية تقدير شيء بواسطة المكيال، المكيال وعاء، صغيراً كان أم كبيراً.

أما الميزان: فهو آلة ومنظومة لوزن الأشياء.

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ - في البيع والشراء قطعاً - وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تبخسوا الناس أشياءهم؛ أي لا تنقصوها، قوم شعيب ماذا كانوا يفعلون؟

إذا ما اشتروا من أحد شيئاً وزنوه بالتَّمام والكمال على أحسن وجه، ولكنهم إذا ما باعوا شيئاً للآخرين أنقصوا في كيلهم وميزانهم، غشوا في ذلك، فهم حينما يأخذون من الآخرين يكيلون ويوزنون على أحسن وجه، ولكن حينما يبيعون ينقصون في مكيالهم وميزانهم.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ هذه عملية الظلم والإنقاص وعملية بخس الناس أشياءهم هذه تقع في سلسلة جرائم تؤدي إلى إفساد الأرض.

مر علينا في معنى إفساد الأرض وفي إصلاحها، مر علينا أن إصلاح الأرض بمحمد وعلي، وبعنوان أدق: إصلاح الأرض بإمام زماننا، فمحمد وعلي مقدمه لمشروع كبير هو مشروعهم، هو مشروع محمد وعلي، مشروع إمام زماننا، مشروعه الذي يتلخص في عنوان واضح: (يملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً) بجميع أشكاله، وأحد أشكال هذا الظلم في سلسلة الجرائم والأخطاء التي تؤدي إلى الإفساد في الأرض، هو هذا المعنى الذي تحدث عنه هذه الآيات.

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قطعاً الإفساد في الأرض على درجات، هذا إفساد، وقتل الحسين إفساد، الالتزام بالقوانين العادلة في الكيل والميزان هذا قسط وعدل، وظهور إمام زماننا قسطاً وعدلاً، فالإفساد مراتبه كثيرة، يقابله الإصلاح، أيضاً مراتبه كثيرة.

﴿وَإِلَىٰ مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾.

المشكلة هي هي، في هذه الأمة في أمة شعيب، وفي الأمم السابقة، وفي الأمم اللاحقة أيضاً، من هنا جاء ذكر هذه الأحداث وهذه الوقائع، (فما جرى في الأمم السالفة يجري في هذه الأمة) نبينا صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يخبرنا بذلك من أن: (ما جرى في الأمم السالفة يجري في هذه الأمة، حَذَوِ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ وَحَذَوِ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ، بَاعاً بِبَاعٍ -الباع هو هذا الذي يكون فيما بين اليدين- وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ -والذراع تعرفونه، الذراع هو هذا من المرفق إلى نهاية الأصابع- حَذَوِ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ وَحَذَوِ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ، بَاعاً بِبَاعٍ وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ، حَتَّى أَنْتَهُمْ لَوْ دَخَلُوا جَحَرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ فِيهِ) فما جرى على الأمم السالفة سيجري على هذه الأمة، من هنا أمرنا أن ننظر في هذه القصص والحكايات والأحداث والوقائع لأجل الاعتبار بها ولأجل الاعتبار منها.

وهذه المضامين مرت، نفس هذه المضامين وحتى نفس هذه التعابير مرت فيما سلف من آيات سورة الأعراف: ﴿قَادَنَ مُؤَدَّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ والمؤدَّن عليّ، وأول العناوين التي أشير إليها في بداية السورة هم أصحاب الجمل، (وَالْجَمَلُ جَمَلُهُمْ) هؤلاء ماذا يفعلون؟ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ هذا في الآية الخامسة والأربعين.

وأنا أقرأ هنا في الآية السادسة والثمانين: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ -الصراط هو الطريق- تُوْعَدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ -"تُوْعَدُونَ" من الوعيد، والوعيد هو التهديد، تُهَدِّدُونَ مَنْ؟ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ- وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوْعَدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سبيل الله في ثقافة أهل البيت: (عليّ وآل عليّ) في دعاء النذبة ماذا تقرأون؟ (أَيْنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيلِ) فالسبيل في أجلى معانيه هو الإمام المعصوم، (أَيْنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيلِ) أين عليّ؟ أين الحسن؟ أين الحسين؟ في نفس الدعاء الشريف: (أَيْنَ الْحَسَنُ أَيْنَ الْحُسَيْنُ أَيْنَ أَبْنَاءَ الْحُسَيْنِ) التعابير هي هي، (أَيْنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيلِ).

قطعاً في كل أمة من الأمم السابقة هذه المعاني تتجلى لهم بحسبهم، فسبيلهم في زمانهم هو نبيهم، ونبيهم جوهر دينه وجوهر نبوته الولاء لمحمد وآل محمد ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوْعَدُونَ -توعدون؛ تهددون، تخيفون- وَتَصُدُّونَ -تمنعون- عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَتَرَكُمْ -والقلة عنوان للضعف، وعنوان للفقير، وعنوان للخوف من الآخرين، وعنوان للمهانة والمذلة- وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَتَرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ من الأمم السالفة، من قوم نوح، من قوم هود، من قوم صالح، من قوم إبراهيم، فشعيب في أيامه جاءه موسى قبل أن يبعث وعاش سنوات في بيت شعيب.

- موسى من الخطّ الإبراهيمي.

- وأما شعيب فهو من الخطّ الآدمي.

وهنا تلتقي النبوة الآدمية والنبوة الإبراهيمية حين يأتي موسى في بيت شعيب النبي.

﴿وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَتَرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ المفسدون الذين مرّ الحديث عنهم ماذا بقي منهم؟ لم يبق من قوم لوط شيء، أما من قوم عاد فبقيت بقية مع هود النبي، المؤرخون يقولون إنها انقرضت، لا ندري، لذلك سموا قوم عاد وقوم ثمود بـ (العرب البائدة) فهو قد نجا مع مجموعة

من المؤمنين، وصالح كذلك قد نجا مع مجموعة من المؤمنين، أين أصبحوا؟ هل بقيت لهم آثار إلى يومنا هذا من سلالة، من نسل؟ لا نعلم ذلك.

لكن إلى زمانٍ شعيبٍ فلربما كانت هناك معلومات بين أيديه متوفرة، فشعيبٌ هنا يُدكّرهم بأنكم كنتم قلّة فكثركم، والكثرة عنوانٌ للقوة، وعنوانٌ للعزّة، وعنوانٌ للغنى ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ﴾ (هذه نعمه عليكم) ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ الذين خالفوا وأمر أنبيائهم.

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾، (لماذا تجروننا للصراع؟)

ماذا يفعلون؟ يقعدون بكلّ صراط، في كلّ طريق، يهدّدون ويصدّون، يمنعون عن إقامة العبادة، عن إقامة الطقوس، يضيّقون على أتباع شعيب، بعبارة أخرى: لا حرّية للأديان، يمنعون دينهم.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ - تُهَدِّدُونَ - وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ (نحن لا نريد أن نصطدم بكم، دعونا في حالنا وأنتم في حالكم) ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ - الطائفة مجموعة، قلّت، كثرت - وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ حتى يحكم الله بحسب السنن الكونية وإلاّ ليس هناك من حكومة على الأرض يذهبون إليها كي يتحاكموا عندها، ولكن بحسب السنن الكونية.

وواضح في كلمات شعيب النبي في بقية الآيات هناك حديثٌ عن السنن الكونية، فهو لم يكن في مواجهة ومقابلة مع أولئك الذين يضيّقون عليه وعلى أتباعه، وإمّا يريد منهم أن يتركوا الأمر هكذا للحوار وللمناقشة وللأسباب الطبيعية، بعنوانٍ آخر: البقاء للأصلح، الأصلح هو الذي سيبقى.

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ - الحكم هنا الراجع للسنن الكونية، لقوانين الحياة - قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ - أيضاً الحديث عن الملأ، عن زعامات الدين والسياسة والدراهم والدنانير - قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ -

هذه التعابير مثلما مرّ في قصة لوط النبي: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾، ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ﴾ ونفس الكلام يمرّ في كلّ قصص الأنبياء، إلى أيّ شيء يُشير؟ يُشير إلى أنّ القوة بيد الطرف الثاني وليس بيد أهل الحق، لو كان أهل الحق بأيديهم القوة لما استطاع أولئك أن يصدّروا هذا القرار ثمّ بعد ذلك يبادرون إلى تنفيذه، وأساساً هم لم يصدّروا هذا القرار إن لم يكونوا على علم بأنهم قادرون على تنفيذ هذا القرار.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا - المِلّة هي الديانة والعقيدة - قَالَ أُولَئِكَ كَانُوا فِي سَكِينٍ﴾، (حتى لو كنّا نرفض ملّتكم أتفعلون بنا هذا؟ حتى لو كنّا نرفض ونكره ونُبغض ملّتكم أتجبروننا على ذلك؟ أتركهوننا على ذلك؟)

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَانُوا لِي فِي عَدَاوَةٍ أَفَرِيضٌ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عِدَّتِي فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ (لا يمكن أن يكون ذلك، إننا سنكون في دائرة الذين يفترون الكذب على الله، نحن قد عرفنا الحقيقة).

﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عِدَّتِي -والنبي هنا يتحدث بلسانه وبلسان قومه الذين آمنوا معه، بلسان أتباعه- قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عِدَّتِي فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ لا يمكن، لا يمكن أن نعود إلى مِلَّتِكُمْ لسببين:

- السبب الأول: مِلَّتِكُمْ مِلَّةٌ ضلال ونحن عرفنا الحقيقة.
- والسبب الثاني: إننا نغضب الله، إننا نفتري على الله الكذب إذا ما عدنا إلى مِلَّتِكُمْ.

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَانُوا لِي فِي عَدَاوَةٍ أَفَرِيضٌ﴾ (إذا فعلنا وعدنا إلى مِلَّتِكُمْ) قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عِدَّتِي فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّنَا﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّنَا من الجهة التكوينية، لا من الجهة التشريعية، النبي هنا يريد أن يقول مثلما أقول الآن: سيكون برنامجنا غداً في مثل هذا الوقت إن شاء الله تعالى، بحسب التخطيط، بحسب النية، بحسب العزم الحلقة القادمة ستكون في مثل هذا الوقت، ولكن هل أمتلك أنا أو يمتلك الآخرون قراراً قطعياً بذلك؟ إذا شاء الله، إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يمنع حصول هذا الأمر سوف لن يتحقق مهما خططنا ومهما عزمنا ومهما نوينا.

فشعيب النبي هنا يريد أن يقول: نحن لن نعود إلى مِلَّتِكُمْ، هذا تكليفنا، لن نعود إلى مِلَّتِكُمْ، لأنَّ مِلَّتِكُمْ ضلال والله سبحانه وتعالى نجانا منها، وإذا عدنا فإننا نفتري الكذب على الله، فلن نعود إلى مِلَّتِكُمْ إِلَّا إِذَا أَرْجَعَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ الضَّالَّةِ، وقطعاً لن يكون ذلك إِلَّا بسبب أعمالنا، قوانين التوفيق والخذلان.

﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عِدَّتِي فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّنَا وَسِعَ رَبَّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ مردنا إليه، وما عندنا من دين فهو منه، الجهة التي نلجأ إليها جهة العلم، وما عندنا من دين هذا الدين دين العلم، لا هو خرافات ولا هو جهالات.

﴿وَسِعَ رَبَّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ -لا نبالي بكم- رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ دعاء واضح وصریح إنها المنازلة فيما بين الله وبين هؤلاء القوم المفسدين، نهاية القصة واضحة، ودعاء شعيب النبي سيتحقق، سيتحقق الفتح وتنطوي صفحة الفساد هذه من على وجه الأرض في مقطع زمني معين وينجو شعيب والذين آمنوا معه.

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ في الآية التاسعة والثمانين من سورة الأعراف، هذا لسان شعيب النبي.

أما لسانُ المَلَأِ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ماذا يقولون؟ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ (وبالتأكيد) إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴿ على وجه القطع يقولون إِنَّكُمْ ستخسرون، لماذا؟ لأنَّ المال والقوة كانت بأيدي الطرف الثاني، الطرف الثاني يتصور بالمال والقوة التي عنده يستطيع أن يحقق كُلَّ شيء، هذا مصداقٌ من مصاديق: (غَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) وَغَرَّتْنَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِذَا مَا نَلْنَا فِيهَا شَيْئًا وَالتصقنا بذلك الشيء الذي نلناه ننسى كُلَّ شيءٍ وَرَاءَ ذَلِكَ، هَكَذَا غَرَّتْهُمْ وَغَرَّتْنَا أَيْضًا وَغَرَّتِ الدُّنْيَا أَبْنَاءَهَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا غَرَّتْ أَبْنَاءَهَا ثُمَّ أَكَلَتْهُمْ بعد ذلك.

فمنطقُ شُعَيْبِ النَّبِيِّ هو هذا: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ، النتيجة ما هي؟ فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾.

هذا الكلام مرّ بنفس هذا المضمون، بل بنفس هذا التعبير في الآية الثامنة والسبعين من سورة الأعراف في قوم ثمود: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ نفس الآية، هذه الآية الثامنة والسبعون في قوم صالح، في قوم ثمود: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾.

وهذه الآية الحادية والتسعون من سورة الأعراف في قُصَّةِ شُعَيْبِ النَّبِيِّ: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ الرجفة هَزَّةٌ وَصَوْتُ مُخِيفٍ وَرَعْبٌ فِي النَّفُوسِ، ثُمَّ بعد ذلك أن يتهدَّم كُلُّ شيءٍ من حولهم، والنهايةُ أَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ، الجاثمُ هو الَّذِي لَا يَقِفُ عَلَى قَدَمَيْهِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ بَرَكَ عَلَى رَكَبَتَيْهِ، أَوْ قَدْ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ، هو ذلك الجاثم.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ -يَغْنَوْا: يَقيموا، ليس الحديث هنا عن الغنى غنى الأموال- الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أقول: هنا مَغْنَاي، هنا وطني، المَغْنَى: الوطن، أقول: هذه ملاعبُ صَبَاي وهذا مَغْنَاي، هنا وَلِدْتُ وهنا لَعَبْتُ في أَيَّامِ الصَّبَا، هُنَا أَقَمْتُ طَوِيلًا.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أولئك المَلَأُ الْمُسْتَكْبِرُ كانوا يَهْدِدُونَ بِإِخْرَاجِ شُعَيْبٍ وَالَّذِينَ مَعَهُ، وكانوا يقطعون الطريق عليهم، وَيُضَيِّقُونَ الْخُنَاقَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، أين أَصْبَحُوا؟! ما هي الدنيا هَكَذَا، الصالحون يذهبون والظالمون يذهبون، ولكن الصالحين بأيِّ وجهٍ يذهبون؟ وكذلك الظالمون بأيِّ وجهٍ يذهبون؟ ما هي هذه الدنيا هي الدنيا، كُلُّنَا إِلَى هَذَا التُّرَابِ.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾.

لا كما قالوا الَّذِينَ كَفَرُوا من قومه، ماذا كانوا يقولون المَلَأُ في الآية التسعين؟ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾.

ولكن الفتح جاء هنا، ألم يدعُ شُعَيْبٌ بِالْفَتْحِ: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ -فجاء الفتح، (افتح بيننا) افصل بيننا، فَإِنَّ الْبَابَ حِينَ يَفْتَحُ إِنَّا نَفْصِلُ بَيْنَ مَصْرَاعَيْهِ، هُنَاكَ مَصْرَاعُ الْيَمِينِ

ومصرع الشمال، وهناك أصحاب اليمين وهناك أصحاب الشمال - رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿١٩﴾

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَانُوا لَمْ يَخْنَوْا فِيهَا﴾

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فما كأن أحداً كان هنا وكان صياحه وضجيجهُ يعلو ويعلو، أين الجابرة؟! أين الطغاة؟! لقد عاصرنا الكثير من الحكام والسلاطين والكثير من زعامات الأديان عند الشيعة، عند السنة، عند النصارى، عند غيرهم، أين هم الآن؟! كل شيء يُحى عن صحائف هذه الدنيا ويزول.

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَانُوا لَمْ يَخْنَوْا فِيهَا﴾ كأنهم ما كانوا هنا، مثلاً نحنُ عشناه في العراق، النظام الصدامي بكل تفاصيله الطويلة العريضة صار في النسيان، أين هو الآن؟! في لحظة من اللحظات كانت تمر على أشياخ أهل البيت ما كانوا يتخيلون أن يوماً من الأيام يزول هذا الكابوس، ولكن أين هم الآن؟! كل شيء قد ولى.

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَانُوا لَمْ يَخْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ - فابتعد عنهم، فهذه ديار حل فيها العذاب، ديار يحل فيها العذاب هي مناحس، هذه مناحس الأرض، مثلما كان الدعاء الذي قرأته قبل قليل الذي يقرأ بعد زيارة الإمامين العسكريين عن اللعائن المستودعة في مناحس الخلقة ومشاويه الفطرة من البشر، هناك مناحس في الأرض، هذه البلدان وهذه الأرضون التي حل فيها العذاب - فَتَوَلَّى عَنْهُمْ - بعيداً - وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي - يسمعون كلامه، نبي يستطيع أن يوصل نداءه وحديثه إليهم - وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ (ولكن ماذا أفعل لكم؟! ثم يقول: فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ) "كيف آسى" من الأسى أو الأسى وهو الحزن، (فكيف أحزن على قوم كافرين؟! هم ذهبوا إلى هذه النهاية بأرجلهم، هم اختاروا هذا الطريق، عواقبنا نحنُ نرسمها، صحيح نحنُ بحاجة إلى توفيق من إمام زماننا، لأن المقدمات التي تُشكّل العواقب هي بيد إمام زماننا، (أشهد أن بولايته تُقبل الأعمال وتزكى الأفعال وتضاعف الحسنات وتمحى السيئات) هذه مقدمات بيده، نحنُ نعمل ولكن هذه الأعمال وهذا السلوك وهذه الأقوال وهذه النوايا لابد من إعادة تأهيل لها بسبب نقصنا، فأعمالنا ناقصة فلا بد من إعادة تأهيل، قطعاً هناك أعمال أساساً هي فاسدة، كما مر الحديث عن اللواط، هذه لا يمكن أن تؤهل، هذه لا يمكن أن تؤهل، ولكن هناك أعمال فيها عيب، صلاتنا فيها عيب، صيامنا فيه عيب، حجتنا فيه عيب، فلا بد من إعادة تأهيل من قبل إمام زماننا، فإذا ما أهلت مجموعها وبنياتنا ترسم العواقب بالنسبة لنا.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾، (إنني لن أحزن عليكم، أنتم ذهبتم في طريقكم ونحنُ سنذهب في طريقنا).

بهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية الآية الثالثة والتسعين وقد كَمَل الحديث في قصة نوح النبي وهود وصالح ولوط وشُعيب على نَبِينَا وآله وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

نتنقل الآيات بعد ذلك لبيان بعض القوانين والسُنن الحاكمة في حياتنا، لكنني وعدتكم أن أتحدث عن هذا العنوان: (آلاء الله) ولم أتمكّن في الحلقة الماضية، لذا سأقف عند هذا العنوان لشرحه وبيانه بحسب ما يسنح به المقام، بقية الحديث في الآيات التي تناوَلت جانباً من السُنن والقوانين الحاكمة في حياتنا سأتركه للحلقة القادمة، وستأتينا أيضاً مجموعة وقائع وأحداث ترتبط بتاريخ بني إسرائيل.

جاء في الآية التاسعة والستين في قصة هود النبي وهو يخاطب قومه: ﴿فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فهو النبي هنا يذكّر قومه عاد: ﴿فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾.

وفي الآية الرابعة والسبعين النبي صالح يذكّر قومه ثمود: ﴿فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾.

هذا التعبير: (آلاء الله) في الكتاب الكريم ورد في هذه السورة، في سورة الأعراف ورد مرتين، مرة على لسان هود النبي، ومرة على لسان صالح النبي، فهذا المصطلح جاء في قصة قوم عاد، وجاء أيضاً في قصة قوم ثمود، لم يرد مرة أخرى إلا في سورة (النجم) وأيضاً جاء في سياق قصة عاد وثمود في سورة النجم، في الآية الخمسين وما بعدها:

﴿وَأَنَّهُ - "وَأَنَّهُ" الضمير هنا يعود على الباري سبحانه وتعالى، على الله - وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ تتماهى؛ تُشكّك، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) فبأي آلاء ربك تُشكّك.

هنا في سورة الأعراف جاء في قصة هود النبي يخاطب قومه قوم عاد: ﴿فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يذكّرهم بآلاء الله.

وفي قصة صالح النبي يخاطب قومه قوم ثمود: ﴿فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

وفي سورة النجم جاء الحديث عن آلاء الله أيضاً في سياق الحديث عن عاد وثمود: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾.

موطن آخر في الكتاب الكريم: (سورة الرحمن) سورة الرحمن ورد فيها هذا التعبير: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَان﴾ هذا التعبير تكرر (31) مرة في السورة، بعد أكثر الآيات في سورة الرحمن يأتي هذا التعبير: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَان﴾.

فإذاً في سورة الأعراف جاء ذكر آلاء الله في قصة قوم عاد وجاء ذكر آلاء الله في قصة قوم ثمود.

وفي سورة النجم جاء ذكر آلاء الله أيضاً في سياق قصة عاد وثمود، حينما ذكرت سورة النجم قوم عاد وقوم ثمود جاء الحديث عن آلاء الله.

وفي سورة الرحمن تكرر هذا التعبير مرةً وثلاثين مرةً: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

فيما مرّ من الحلقات تحدّثت عن شيئين:

- قلتُ هناك رموز في الكتاب الكريم.

- وأيضاً تحدّثت عن أنّ القرآن نزل على العبارة وعلى الإشارة.

وقلتُ: هذه الحلقات من تفسير القرآن هي في جوّ العبارة، ربّما أخرج شيئاً ما كي أتشبّث بأذيال الإشارة، ما سأذكره في بيان معنى (آلاء الله) هو من هذا القبيل، من التشبّث بأذيال الإشارة، هذا مصداق من مصاديق التفسير بالإشارة، أو إذا أردتُ أن أكون دقيقاً في التعبير هو من مصاديق التشبّث بأذيال الإشارة، لأنّ التفسير في مستوى الإشارة يكون بنحو أعمق من هذا الذي سأذكره، لذلك قلت هذا اللون من التفسير في هذه الصورة في معنى (آلاء الله) هو من نحو التفسير الذي قد يصدق عليه هذا العنوان: التشبّث بأذيال الإشارة، ومحاولة الخروج من سلّطة العبارة.

هناك قاعدة قرآنية بيّنها لنا إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، وأنا أقرأ من الجزء الأول من تفسير البرهان لسيدنا هاشم البحراني رحمه الله عليه: عَنْ دَاوُودَ بْنِ كَثِيرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَيِّ عَبْدٍ اللَّهِ -لِإِمَامِنَا الصَّادِقِ- أَنْتُمْ الصَّلَاةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتُمْ الزَّكَاةُ وَأَنْتُمْ الْحَجَّ؟ فَقَالَ: يَا دَاوُودُ نَحْنُ الصَّلَاةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ -هذه أسماءنا- وَنَحْنُ الزَّكَاةُ وَنَحْنُ الصِّيَامَ وَنَحْنُ الْحَجَّ وَنَحْنُ الشَّهْرُ الْحَرَامَ وَنَحْنُ الْبَلَدُ الْحَرَامَ وَنَحْنُ كَعْبَةُ اللَّهِ وَنَحْنُ قِبْلَتُهُ اللَّهُ -هذه أسماء على نحو الحقيقة، ليس على نحو المجاز، لكنها أسماء على نحو الحقيقة في طبقة الإشارة- (نزل القرآن على العبارة والإشارة واللّطائف والحقائق) هناك كتاب للسيد هاشم البحراني، لنفس مؤلّف هذا التفسير، جمّع فيه أسماء أهل البيت في القرآن، فتجاوزت الألف اسم، عنوانه: (اللّوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية) وقطعاً هو لم يحصرها وإمّا ما وقع بيده من روايات وأحاديث تتحدّث عن أسمائهم ذكر ذلك في هذا الكتاب، هناك روايات أخرى لم تكن قد وصلت إليه، موجودة، وهناك روايات كثيرة ما وصلت إلينا أساساً، ضاعت في الكتب التي ضاعت وأتلفت، فهذه أسماءهم، أسمائهم على نحو الحقيقة لكنها في طبقة الإشارة.

قُلْتُ لِأَيِّ عَبْدٍ اللَّهِ: أَنْتُمْ الصَّلَاةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتُمْ الزَّكَاةُ وَأَنْتُمْ الْحَجَّ؟ فَقَالَ: يَا دَاوُودُ نَحْنُ الصَّلَاةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَحْنُ الزَّكَاةُ وَنَحْنُ الصِّيَامَ وَنَحْنُ الْحَجَّ وَنَحْنُ الشَّهْرُ الْحَرَامَ وَنَحْنُ الْبَلَدُ الْحَرَامَ وَنَحْنُ كَعْبَةُ اللَّهِ وَنَحْنُ قِبْلَتُهُ اللَّهُ وَنَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ وَنَحْنُ الْآيَاتِ وَنَحْنُ الْبَيِّنَاتِ، والرواية لا تريد هنا أن تحصر أسماءهم بهذه الأسماء، كما قلت لكم قبل قليل: في كتاب اللّوامع النورانية أكثر من ألف اسم، وهذا العدد ليس حصراً وإمّا ما استطاع أن يجمعه السيد هاشم البحراني من الروايات والأحاديث.

وَعَدُونَا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْفَحْشَاءَ وَالْمُنْكَرَ وَالْبَغْيَ وَالْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالْأَنْصَابَ وَالْأَزْلَامَ وَالْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ وَالْجِبْتَ وَالطَّاعُوثَ وَالْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ، يَا دَاوُودُ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا -هذا هو داوود بن كثير الراوي- يَا دَاوُودُ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا وَأَكْرَمَ خَلْقَنَا وَفَضَّلَنَا وَجَعَلَنَا أَمْنَاءَهُ وَحَفَظَتَهُ وَخَزَّائِنَهُ عَلَى مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ لَنَا أَضْدَادًا وَأَعْدَاءًا فَسَمَّانَا فِي كِتَابِهِ -لنا أسماء في القرآن- فَسَمَّانَا فِي كِتَابِهِ -هذا العنوان الذي وضعه السيد هاشم البحراني: (اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية) مأخوذ من الروايات، هم يقولون: نحن لنا أسماء في القرآن- فَسَمَّانَا فِي كِتَابِهِ وَكُنِيَ عَنْ أَسْمَائِنَا بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ وَأَحَبِّهَا إِلَيْهِ تَكْنِيَةً عَنْ الْعَدُوِّ -كنى يعني أخفى- وَسَمَّى أَضْدَادَنَا وَأَعْدَاءَنَا فِي كِتَابِهِ وَكُنِيَ عَنْ أَسْمَائِهِمْ وَضَرَبَ لَهُمُ الْأَمْثَالَ فِي كِتَابِهِ فِي أَبْغَضِ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ وَإِلَى عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ، كُلُّ الْعَنَاوِينَ الدَّالَّةِ عَلَى الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ هِيَ مِنْ أَسْمَائِهِمْ، وَكُلُّ الْعَنَاوِينَ الدَّالَّةِ عَلَى الْقُبْحِ وَالْمُنْكَرِ هِيَ مِنْ عَنَاوِينَ أَعْدَائِهِمْ، هَذَا إِذَا كَانَ فِي الْأَوْصَافِ، وَلَكِنْ فِي الْأَسْمَاءِ كَذَلِكَ، فَمِثْلَمَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي خُطْبِهِ الْاِفْتِخَارِيَّةِ حِينَ يَقُولُ مِثْلًا: (أَنَا آدَمُ، أَنَا نُوحٌ، أَنَا مُوسَى، أَنَا عِيسَى، أَنَا إِبْرَاهِيمُ، أَنَا الْخَضِرُ) كَذَاكَ فِرْعَوْنَ وَالسَّامِرِيِّ وَعَادَ وَثَمُودَ وَبَقِيَّةِ الْأَسْمَاءِ هِيَ فِي أَعْدَائِهِمْ، هَذِهِ الْقَضِيَّةُ وَاضِحَةٌ وَالرَّوَايَاتُ الشَّرِيفَةُ تَحَدَّثَتْ عَنْ ذَلِكَ، فَالسَّامِرِيُّ وَقَارُونَ وَهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ وَبَقِيَّةَ الْبَاقِيَةِ هِيَ مِنْ أَسْمَاءِ أَعْدَائِهِمْ.

صحيح فرعون هو اسم لشخص كان في زمان موسى، ولكن القرآن في طبقة الإشارة يشير إلى أعدائهم، (نزل القرآن على العبارة والإشارة).

فرعون في طبقة العبارة هو فرعون موسى.

وفي طبقة الإشارة هو اسم لعتاة أعدائهم.

كذلك هذا العنوان: (عاد وثمرود) عاد وثمرود هي عناوين لأعدائهم.

ما يرتبط بهذا المصطلح: (آلاء الله) وخصوصاً ونحن نتحدث في أجواء سورة الأعراف وجاء ذكر آلاء الله في قصة عاد وفي قصة ثمود، ولم يرد هذا التعبير إلا في سورة الأعراف في قصة عاد وثمرود، وفي سورة النجم جاء في سياق الحديث عن عاد وثمرود مرة أخرى.

أما في سورة الرحمن فهذا التعبير له خصوصية: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مَنْ هُمَا الْمُخَاطَبَانِ؟ سيأتي الحديث.

لكن دعونا في البداية نعرف ما المراد من هذا العنوان: (آلاء الله) ما المراد من هذا العنوان؟

هذا العنوان قطعاً رمز، فالقرآن مشحون بالرموز، وحين أقول قطعاً رمز سيتضح هذا من خلال كلماتهم الشريفة، ومن خلال مجموعة المعطيات التي سأضعها بين أيديكم، والقرآن أهم أسرارهِ رموزه، وعلى أساس رموزه نستطيع أن نفهم الحقائق القرآنية، وهذه الرموز يحدثنا عنها سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه، فماذا يقول؟ وأنا أقرأ من كتاب (الاحتجاج) لشيخنا الطبرسي، ماذا يقول أمير المؤمنين؟

(وَإِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ هَذِهِ الرُّمُوزَ - هذا كلام علي، ما هو بكلامي- وَإِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ هَذِهِ الرُّمُوزَ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُ وَغَيْرُ أَنْبِيَائِهِ وَحُجَجِهِ فِي أَرْضِهِ لِعَلِّمِهِ بِمَا يُحْدِثُهُ فِي كِتَابِهِ الْمُبْدِلُونَ) وتأتي التفاصيل في كلام طويل عميق من كلام سيد الأوصياء لا مجال للتطرق إليه في هذا البرنامج الموجز.

هناك رموز تبتني عليها هندسة القرآن ومن خلال هذه الرموز نستطيع أن نستكشف المعاني والحقائق.

فآلاء الله هذا العنوان جاء مذكوراً في سورة الأعراف مرتين:

- مرة في خطاب من النبي هود لقومه عاد يطالبهم أن يذكروا آلاء الله.

- ومرة في قصة قوم ثمود نبّيهم صالح يطالبهم أن يذكروا آلاء الله.

هذا يعني أن قوم عاد لا يذكرون آلاء الله ولكنهم على معرفة بها، لذلك يطالبهم أن يذكروا آلاء الله، لو لم يكونوا على معرفة بها فهل يطالبهم نبّيهم بأن يذكروا ذلك؟! وكذلك بالنسبة لقوم صالح لقوم ثمود حين يطالبهم نبّيهم بأن يذكروا آلاء الله، هذا يعني أنهم على معرفة بها.

- فآلاء الله عند قوم عاد.

- وآلاء الله عند قوم ثمود.

ولكنهم في حالة إعراض عن آلاء الله هذه، وفي سورة النجم آلاء الله ذكرت أيضاً في سياق الحديث عن عاد وثمود.

في سورة الرحمن يتكرر هذا المعنى مرةً وثلاثين مرةً: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ما المراد من آلاء ربك؟ ما المراد من آلاء الله؟

هذا هو الجزء السابع من تفسير البرهان، وهنا مجموعة من الروايات تشرح معنى (آلاء الله) معنى (آلاء ربك) عن إمامنا الصادق، الرواية السابعة، السيد هاشم البحراني ينقلها عن (تأويل الآيات) للمحدث الاستربادي النجفي: عن إمامنا الصادق في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قَالَ: بِأَيِّ نِعْمَتِي تُكَذِّبَانِ - يعني أن الله يقول: بأيّ نعمة من نعمتي تُكَذِّبَانِ؟! - مُحَمَّدٌ أُمِّ بَعْلِي؟! فَبِهِمَا أُنْعِمْتُ عَلَى الْعِبَادِ، هو نفس المضمون الذي مر في آيات سورة الأعراف في قضية إفساد الأرض وإصلاحها، فإصلاح الأرض مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ، وهذا هو الإنعام على العباد بهذا الإصلاح.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول إمامنا الصادق معنى هذه الآية: بِأَيِّ نِعْمَتِي تُكَذِّبَانِ مُحَمَّدٌ أُمِّ بَعْلِي؟! فَبِهِمَا أُنْعِمْتُ عَلَى الْعِبَادِ، هذه الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني من (تأويل الآيات) للمحدث النجفي الاستربادي.

الرواية الثانية ينقلها عن أبي بصير عن إمامنا الصادق من تفسير علي بن إبراهيم، الرواية الثامنة، الصفحة (385) من الجزء السابع من تفسير البرهان، أبو بصير يقول: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فماذا قال إمامنا الصادق؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ: فَبِأَيِّ النِّعَمَتَيْنِ تَكْفُرَانِ مُحَمَّدٌ أَمْ بَعْلِي؟!

الرواية التاسعة، الصفحة (385) ينقلها عن كتاب (الكافي) لشيخنا الكليني، في الجزء الأول هذه الرواية، عن إمامنا الصادق، أيضاً بخصوص الآية: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ماذا يقول إمامنا الصادق؟ أِبَالِنْبِي أَمْ بِالْوَصِيِّ تُكَذِّبَانِ، ثم ماذا يقول؟ نَزَلَتْ فِي الرَّحْمَنِ -يعني في سورة الرحمن، هذا مستوى من مستويات التنزيل، القرآن نزل عدة نزولات، له نزلة ونزلة ونزلة، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ماذا يقول إمامنا الصادق؟ (أِبَالِنْبِي أَمْ بِالْوَصِيِّ تُكَذِّبَانِ) نَزَلَتْ فِي الرَّحْمَنِ، نزلت هكذا: (أِبَالِنْبِي أَمْ بِالْوَصِيِّ تُكَذِّبَانِ).

الروايات كثيرة ووفيرة في هذا المضمون، ليس بهذا اللفظ، وإنما إذا ما جمعنا نصوص المعصومين فيما يرتبط بالشؤون القرآنية، هناك قواعد عامة وهناك تفسيرات خاصة، إذا ما جمعت هذه جميعاً، ستكون الصورة أوضح وأوضح وأوضح.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مُحَمَّدٌ أَمْ بَعْلِي تُكَذِّبَانِ؟! الخطاب هنا مثنى، لمن الخطاب؟ بحسب السياق التنزيلي فَإِنَّ الخطاب لِمَنْ؟ للجن والإنس.

على سبيل المثال الخطاب واضح للجن والإنس مثلاً في الآية الحادية والثلاثين والتي بعدها: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ الحديث عن الجن والإنس خصوصاً وأنَّ السورة ابتدأت بالحديث عن خلقة الجن والإنس: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلى أن تأتي هذه الآيات: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ويستمر الحديث عن الجن والإنس إلى آخر الآيات في سورة الرحمن.

فبحسب السياق التنزيلي وبحسب طبقة العبارة فَإِنَّ الخطاب مَوْجَّهٌ هُنَا للجن والإنس.

ولكن بحسب طبقة الإشارة وبحسب مرحلة التأويل، هذا في مرحلة التنزيل، أما الدين فقد انتقل إلى مرحلة التأويل التي قاتل عليها علي صلوات الله عليه، وبيعه الغدير كانت على التأويل، ما كانت على التنزيل، "تُكَذِّبَانِ" الخطاب مَوْجَّهٌ لِلأَوَّلِ والثاني، وهذا ليس من عندي، هذا في الروايات والأحاديث عنهم، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الخطاب لِلأَوَّلِ والثاني.

وحينئذ يتجلى المعنى بشكل واضح: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾ أَمُحَمَّدٌ أَمْ بَعْلِي تُكَذِّبَانِ؟! أَيُّهَا الأَوَّلُ، أَيُّهَا الثاني، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أَمُحَمَّدٌ أَمْ بَعْلِي؟! (أِبَالِنْبِي أَمْ بِالْوَصِيِّ تُكَذِّبَانِ) فَالَاءِ رَبِّكَ هُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وسلامه عليهم أجمعين.

ما جاء في سور القيامة في الآية الثانية والعشرين والثالثة والعشرين: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢﴾﴾ (إلى) هنا هل هي حرف جرّ؟ أبدأً، (إلى) ما هي بحرف جرّ، هذا النقاش الطويل الموجود عند علماء الكلام، والنقاش الموجود بين علماء الشيعة والسنة في أنّ الله يرى في يوم القيامة أو لا يرى؟

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ - من النضارة، يعني الجمال، هذه بالضاد أخت الصاد- ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ هذه بالطاء أخت الطاء، تنظر إلى ربّها، هذا الخلاف كلّهُ مردّه إلى كلمة (إلى) فإلى هل هي حرف جرّ؟ نعم إذا كانت (إلى) حرف جرّ كما أقول مثلاً: سافرتُ إلى كربلاء، فإلى إذا كانت حرف جرّ نعم هذا الكلام يقع النقاش: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ فهل الرؤية حسيّة؟ هل الرؤية قلبية؟ الكلام المعروف ولا أريد الخوض فيه، ما أنا وهذا الهراء؟!

هذه (إلى) عند آل محمّد هي مفرد من آلاء، ما هو مفرد آلاء؟ مفرد آلاء: (إلى) إلى كيف تُجمع؟ (إلى) هذه ما هي بحرف، (إلى) الحرف من حروف الجرّ لا يخرج معناها إلّا في جملة، فهي من الألفاظ التي لها دلالة حرفيّة، حين أقول: (سافرتُ إلى كربلاء) ما بين سفري وكربلاء يتجلّى معنى (إلى) تشير إلى الانتهاء، انتهاء سفري سيكون في كربلاء، أمّا (إلى) لوحدها من دون جملة لا معنى لها، هذا (إلى) الحرف.

(إلى) الكلمة التي لها معنى فتعني النعمة، تعني الآية، (إلى) مفرد آلاء، لا شأن لي بعلماء الشيعة ماذا يقولون، ولا شأن لي بعلماء السنة ماذا يقولون، نحن نذهب إلى حديث محمّد وآل محمّد ماذا يقولون، وأنا أقرأ من الجزء الثامن من (تفسير البرهان) الصفحة (168) الرواية الثالثة ينقلها عن (تفسير الفمّي) تفسير علي بن إبراهيم من أهم تفاسيرنا المروية عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهي التي لا يأخذ بها مراجعنا وعلمائنا أعلى الله مقاماتهم: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١﴾ أَيُّ مُشْرِقة ﴿٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٣﴾﴾ قَالَ: يَنْظُرُونَ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَعْنِي إِلَىٰ رَحْمَةِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ - فإلى هي مفرد من كلمة (آلاء)- ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١﴾﴾ إِلَىٰ، يعني وجه ربّها ناضرة، فإلى هنا آية، دلالة.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١﴾ أَيُّ مُشْرِقة ﴿٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٣﴾﴾ قَالَ: يَنْظُرُونَ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَعْنِي إِلَىٰ رَحْمَةِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ، فالآء الله محمّد وعلي، وتلك الأمم قد كُلفت بهذه العقيدة، والسبب في ذكر هذه الأمم لأنّها كُلفت بنحو أقوى من سائر الأمم والنبوّات التي ما ذكرت، لأنّ النبوّات الأخرى والأمم الأخرى كُلفوا بولاية محمّد وعلي ولكن ليس بالمستوى الذي كُلفت به هذه الأمم والنبوّات التي ذُكرت في القرآن الكريم.

فالآء الله: (محمّد وعلي) وهودّ هنا يذكّر قومه بهما، وصالح هنا يذكّر قومه بهما، وهناك نسق قرآني دقيق في منظومة الإشارة، فعاد وثمود من أسماء أعداء الله كما بينتُ قبل قليل، فعاد وثمود تشير إلى قتلة الزهراء، عاد وثمود تشير إلى من أمر وهو الأول، وإلى من باشر وهو الثاني.

- الذي أمر بقتلها هو الأول.

- والذي باشر قتلها هو الثاني.

فعاد وثمود هي عناوين لأعداء فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

(ثمود) ما الذي فعل هذا العنوان؟ ثمود ما الذي فعل؟

قوم ثمود قتلوا الناقة وقتلوا فصيلها،

وثمود قتل فاطمة وقتل محسنها.

ثمود في مرحلة العبارة قتلوا الناقة وقتلوا فصيلها،

وثمود في مرحلة الإشارة قتلوا فاطمة وقتلوا محسنها.

لا شأن لي بمراجع وعلماء وفقهاء ومفكرين في الوسط الشيعي في الماضي، في الحاضر، أو يأتون في المستقبل ينكرون قتل فاطمة، لا شأن لي بهم، وأبرأ إلى الحجة بن الحسن من عقيدتهم هذه ومن أقوالهم السخيفة هذه، لا شأن لي بهم، عندنا روايات وأحاديث عن رسول الله، وثقوا البعض منها جاء مروياً في كتب المخالفين من أن: (فاطمة ستقتل) في كتب المخالفين، والله هناك روايات في كتب المخالفين من أن فاطمة ستقتل، وهناك روايات حتى في كتب المخالفين وفي كتبنا يخاطب أهل بيته من أن: (مصارعكم شتى) المصارع ماذا تعني؟ المصارع تعني أنهم سيقتلون، علي قُتل، والحسن قُتل، والحسين قُتل، وفاطمة قُتلت أيضاً، الخطاب كان لأهل البيت عموماً من أن لهم مصارع، هذه الكلمة لا تُقال إلا للقتلى.

هناك روايات عندنا صريحة من أن فاطمة قُتلت، وروايات صريحة من أنها ماتت من الضرب، أما محسنها فهل هناك من شك في قتله؟! ففاطمة ماتت من الضرب، قُتلت فاطمة، لقد ضربوها ضرباً إلى الحد الذي بعد ذلك اعتلت وتجرعت الآلام وتكسر ضلعها وأسقطت جنينها.

فثمود قتل فاطمة وقتل محسنها، ليس جزافاً أبداً، ليس جزافاً، أنا أقرأ من كتاب (الاحتجاج) ليس جزافاً لمن يعرف فن الإشارة.

أَشْرَ لِلْحُرِّ مِنْ قُرْبٍ وَبُعْدٍ فَإِنَّ الْحُرَّ تَكْفِيهِهِ الْإِشَارَةُ

أما هؤلاء المراجع الذين ينكرون ظلامة فاطمة هؤلاء ما هم بأحرار، هؤلاء حبسوا أنفسهم في زنانات الفكر الناصبي، هؤلاء عبيد، (من استمع إلى ناطق فقد عبده) هؤلاء عبدوا الفكر الناصبي، عبيد للفكر الناصبي، لو كانوا استمعوا إلى ناطق آل محمد، لو استمعوا إلى الإمام الصادق وهو يقول: (إنها ماتت من الضرب) فاطمة ماتت من الضرب، وهذا الكلام ينقله إمامنا الصادق عن رسول الله، يخبر من أن فاطمة ستموت من الضرب، لو استمعوا إلى حديث آل محمد كما تقيأوا علينا هذا الهراء، أنا هنا أتحدث مع الأحرار، الحر تكفيه الإشارة، أولئك الذين يبحث عنهم الحسين: (ألا حر يدع هذه اللماظة) هذا نداء أبي عبد الله: ألا حر...

أنا أقرأ من كتاب (الاحتجاج) للطبرسي، عن إمامنا الصادق: لَمَّا اسْتَخْرِجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَنْزِلِهِ، خَرَجَتْ فَاطِمَةُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا -إلى أن يقول إمامنا الصادق- خَلُّوا عَنْ ابْنِ عَمِّي -تقول لهم، تقول للقوم- خَلُّوا عَنْ ابْنِ عَمِّي فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا أَيُّ بِالْحَقِّ إِنْ لَمْ تُخَلُّوا عَنْهُ لَأَنْشُرَنَّ شَعْرِي وَلَأَضَعَنَّ قَمِيصَ رَسُولِ اللَّهِ

عَلَى رَأْسِي وَلَأَصْرَحَنَّ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَمَا صَالِحُ بِأَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَيْ، وَلَا النَّاقَةَ بِأَكْرَمَ مِنِّي، وَلَا الْفَصِيل -الفصيل ولد الناقة- بِأَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ -هم يكتبونها: (مَنْ وَلَدَيَّ) يشيرون إلى الحَسَنِ والحَسَنِ، والكلام ليس صحيحاً- مَنْ وَلَدَيَّ -تُشِيرُ إِلَى الْمُحْسَنِ، مطبوع الآن: (مَنْ وَلَدَيَّ) وفي أكثر الكتب، هذا خطأ مطبعي واضح جداً وخطأ في القراءة- فَمَا صَالِحُ بِأَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَيْ، وَلَا النَّاقَةَ بِأَكْرَمَ مِنِّي، وَلَا الْفَصِيلَ بِأَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ وَلَدَيَّ.

ما الَّذِي جاء بذكر الناقة وبذكر الفصيل؟

ذكرتُ فيما تقدّم من أَنَّ الناقة هي ناقة الله، وهي آيةٌ من آيات الله، وهذه سلسلة الآيات تعود إلى الآية العظمى، فهذه الآيات آثارهم ومظاهرهم، وهذه منظومة الإشارة، ففاطمة أشارت إلى الفصيل، إلى فصيل الناقة، هذا قيدار لما عقر الناقة ففرّ الفصيل إلى الجبل، هم عقرُوا الناقة وذبحوها، بعد ذلك تقاسموا لحمها وأكلوه، طبخوه وأكلوه، ثُمَّ تَبِعُوا الفصيل وقتلوا الفصيل، لكنّ الفصيل بعد أن رأى أمّه تُذبح ركض إلى الجبل ورفع رأسه إلى السماء وصدرت منه أصوات تتقطّع منها القلوب، ومع ذلك قصدوه وكان صغيراً وقطّعوه وقتلوه، فقتلوا الناقة وقتلوا فصيلها.

بينما عاد ما فعلوا ذلك، آلاء الله مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ، آلاء الله ذُكِرَتْ في قوم عاد وذُكِرَتْ في قوم ثمود، فاطمة تحدّثت عن قوم ثمود، كما قُلْتُ فعاد اسمٌ للأول، وثمود اسمٌ للثاني.

سيدّ الشهداء صلواتُ الله وسلامه عليه، وأنا أقرأ عليكم من الجزء الخامس والأربعين من (بحار الأنوار) كما ذُبحوا الرضيع في حجره ماذا قال؟ الصفحة (47) إمامنا الباقر يقول: بَعْدَ أَنْ قَذَفَ الْحُسَيْنَ بِدَمِ الرُّضِيعِ إِلَى السَّمَاءِ -إمامنا الباقر يقول- فَلَمْ يَسْقُطْ مِنْ ذَلِكَ الدَّمِ قَطْرَةٌ إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ ماذا قال؟ ثُمَّ قَالَ: لَا يَكُونُ -يخاطب الله سبحانه وتعالى- لَا يَكُونُ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ فَصِيلٍ "فصيل" يُشِيرُ إِلَى وَلَدِ نَاقَةٍ صَالِحٍ، ثُمَّ قَالَ: لَا يَكُونُ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ فَصِيلٍ، في بعض الكتب: (من فصيل ناقة صالح) ولكن أكثر المصادر ذُكِرَتْ هذا النص: لَا يَكُونُ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ فَصِيلٍ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ حَبَسْتَ عَنَّا النَّصْرَ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَنَا.

(لَا يَكُونُ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ فَصِيلٍ) فالَّذِي ذَبَحَ الرضيع هو ثمود أيضاً، ثمود الَّذِي ذَبَحَ الرضيع، ما هو حرملة، حرملة كان آله، منطق أهل البيت أَنَّ الْحُسَيْنَ قُتِلَ يَوْمَ كُتِبَ الْكِتَابُ، من الَّذِي كُتِبَ الْكِتَابُ؟ عادٌ وثمود ومن معهما، فثمود هو الَّذِي كُتِبَ الْكِتَابُ، (قُتِلَ الْحُسَيْنُ يَوْمَ كُتِبَ الْكِتَابُ).

الرواية في الجزء الثامن من الكافي الشريف، عن إمامنا الصادق صلواتُ الله وسلامه عليه: (قُتِلَ الْحُسَيْنُ يَوْمَ كُتِبَ الْكِتَابُ).

لذا سيدّ الشهداء بعد أن رموه بالسهم المثلث، وأنا أقرأ أيضاً من الجزء الخامس والأربعين من (بحار الأنوار) بعد أن ضربوه بالسهم المثلث، أنا ما عندي وقت وإلا قرأت الحديث بكُلِّ تفاصيله، لكنني أرى الوقت يجري سريعاً وأريد أن أكمل حديثي، بعد أن ضربوه بالسهم المثلث وخَضَبَ وجهه ولحيته، ثُمَّ وضع يده ثانياً فلما امتلأت لَطَخَ بها رأسه ولحيته وَقَالَ: (هَكَذَا أَكُونُ حَتَّى أُلْقَى جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا مَخْضُوبٌ بِدَمِي وَأَقُولُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ قَتَلَنِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ) قطعاً الإمام الحُسَيْنَ ذكر أسماءهما، هذا التحريف والحذف هذا جاء من الرواة ومن الكتب، الآن نحن عندنا نُسَخُ موجودة، تفسير علي بن إبراهيم مثلاً وكُتِبَ أخرى، في تفسير علي بن إبراهيم القُمِّي في الروايات التي تتعلّق بواقعة الجمل في النسخ القديمة مكتوب اسم عائشة وحفصة، لكن في النسخ الآن الموجودة الأسماء محذوفة، مكتوب فلانة وفلانة، ومثل هذا موجود في كتب عديدة وكثيرة، أنا رأيت ذلك، على أي حال، هَكَذَا أَكُونُ حَتَّى أَلْقَى جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا مَخْضُوبٌ بِدَمِي وَأَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَتَلَنِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ.

العقيلة صلوات الله وسلامه عليها بعد أن جرى ما جرى في عاشوراء وهجموا على الخيام أشعلوا النيران وسبوا النساء، رفعت صوتها: يَا مُحَمَّدَاهُ، بَنَاتُكَ سَبَايَا وَدَرِيَّتُكَ مَقْتَلَةٌ تَسْفِي عَلَيْهِم رِيحَ الصَّبَا وَهَذَا حُسَيْنٌ مَحْزُورُ الرَّأْسِ مِنَ الْقَفَا، في بعض النسخ: (مَحْزُورُ الرَّأْسِ مِنَ الْقَفَا) مَسْلُوبُ الْعِمَامَةِ وَالرِّدَاءِ بِأَيِّ مَنْ عَسْكَرَهُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ نَهَبًا -الحُسَيْنَ ما قُتِلَ في يوم الاثنين، السقيفة عُقِدَتْ في يوم الاثنين، نُهَبَتْ خِيَامُ الْحُسَيْنِ في يوم السقيفة، السقيفة عُقِدَتْ في يوم الاثنين، الحُسَيْنَ ما قُتِلَ يوم الاثنين، راجعوا كتب التاريخ، ذُكِرَ أكثر من يوم، لكن لم يُذَكَّرْ في كتب التاريخ أَنَّ الْحُسَيْنَ قُتِلَ في يوم الاثنين، وإمَّا السقيفة عُقِدَتْ في يوم الاثنين - بِأَيِّ مَنْ عَسْكَرَهُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ نَهَبًا.

فثمود هو الذي قتل فاطمة، وهو الذي قتل محسنها، وهو الذي قتل رضيعها في الطفوف أيضاً، رضيع الحُسَيْنِ رضيع فاطمة، فالأء ربك، آلاء الله: مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ، وورود هذا المصطلح في قصة قوم عاد وقوم ثمود يشير إلى نفس هذه الحقيقة.

وثمود عنوانٌ للثاني، ولذا فاطمة أشارت إلى هذا المعنى، وكذلك سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ أشار إلى هذا المعنى، أشار إلى هذا المعنى حينما قُتِلَ الرضيع حينما لَطَخَ وجهه قال: (قَتَلَنِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ) عادٌ وثمود.

أنا ما أقول إنَّ الإمام الحُسَيْنَ قال هكذا، الإمام قطعاً ذَكَرَ الأسماء كما هي، ولكن الموجود في الروايات: (فلان وفلان) لكنني أتحدّثُ بِلُغَةِ الرَّمْزِ، فحديثنا عن رموز القرآن، هذا الرمز: (ثمود) ينطبق أيضاً على كلِّ من سار في هذا الطريق من الشيعة أو من السُنَّةِ، أساساً هذا الرمز في رواياتنا ينطبق على الشيعة الذين يسرون في نفس هذا المنهج.

إذا ما ذهبنا إلى سورة الشمس: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ -سورة الشمس تتحدّث عن ثمود- كَذَّبَتْ ثُمُودٌ بِطَغْوَاهَا إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ إذا أعود إلى سقيا الناقة وأعود إلى رضيع الحُسَيْنِ، رضيع الحُسَيْنِ ذبحوه دون أن يشرب، بينما فصيل ناقة صالح ذبحوه بعد أن شرب، يعني حتى قidar هذا أشقى الأولين، قيل له أشقى الأولين لأنّه في السلسلة التي يكون في أعلاها عبد الرحمن بن ملجم، ألا تلاحظون هناك ربط، ترابط في الموضوعات، فعبدُ الرحمن بن ملجم هو الآخر لم يكن قاتلاً لعلي، الذين قتلوا علياً هم الذين قتلوا حسيناً، (قُتِلَ الْحُسَيْنَ يَوْمَ كُتِبَ الْكِتَابُ) الذين قتلوا علياً هم الذين قتلوا حسيناً، هم رضيع الحُسَيْنِ ذبحوه قبل أن يشرب الماء، وعلى المشهور أَنَّ الْحُسَيْنَ طلب له الماء، المشهور هكذا،

المعروف في الأجواء الحسينية، لا ندري مدى صحة هذه المعلومة، ولكن هذا هو المعروف عندنا أن الحسين طلب للرضيع الماء، فهناك روايات تقول من أنه أجلسه في حجره فلما رأوا الطفل في حجره ذبحوه من الوريد إلى الوريد، على أي حال، ولكن على المشهور والمعروف أن الحسين طلب له الماء فقتلوه، وعلى كل حال هو قُتِل عطشاناً، سواء طلب له الماء أم لم يطلب له الماء.

بينما فصيل ناقة صالح تركوه شرب الماء وبعد ذلك ذبحوه، ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ ﴿كَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾.

هذا هو الجزء الثامن من (تفسير البرهان) للسيد هاشم البحراني، الرواية عن إمامنا الصادق، أنا أقرأ من الصفحة (299) والرواية ينقلها عن (تأويل الآيات) للمحدث النجفي الاستربادي، ماذا يقول إمامنا الصادق؟ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ قَالَ: ثَمُودُ رَهْطٌ مِنَ الشَّيْعَةِ - هنا في هذه السورة - رَهْطٌ مِنَ الشَّيْعَةِ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يَقُولُ: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) أما ثمود فهديناهم، الذين ذبحوا الناقة من البداية كانوا كافرين بصالح، من البداية، ما كانوا من المؤمنين (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ) ماذا يقول إمامنا الصادق؟ وَهُوَ السَّيْفُ إِذَا قَامَ الْقَائِمُ.

وثمود هنا رَهْطٌ مِنَ الشَّيْعَةِ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ أي طُغْيَانٍ هذا؟ هذا طُغْيَانِ الْعِلْمِ، (فإنَّ لِلْعِلْمِ طُغْيَانًا كَطُغْيَانِ الْمَالِ)، (وإنَّ من العلماء جابرة) جابرة في علمهم، (لا تُسَمُّوهم علماء، سَمُّوهم قُطَّاع طُرُق) استحبوا العمى على الهدى، هديناهم، وَضَعْنَا لَهُمُ الْأَسْبَابَ وَبَيْنَا لَهُمُ الْحَقَائِقَ فَذَهَبُوا يركضون وراء النواصب.

هذه المضامين لا أقول هي في طبقة الإشارة في الكتاب الكريم وإنما أنا أحاول أن أتشبَّث بأذيال طبقة الإشارة، محاولة الخروج من العبارة، لأنني لو أردتُ أن أتناول المضامين وفقاً للإشارات بحسب فهمي القاصر فَكُلُّ مطلب من المطالب بحاجة إلى حشد كبير من النصوص، لماذا؟ لأنَّ ثقافة المتلقِّي بعيدة جداً عن حديث أهل البيت، فهو لا يعلم شيئاً كثيراً عن ثقافة أهل البيت، لأنَّ المتلقِّي الشيعي دماغه مشحون بالفكر الناصبي، فماذا أصنع له؟! ألا تلاحظون أنني أحاول أن أقرب الفكرة، كم حشدتُ من النصوص؟ لو كانت الثقافة ثقافة شيعية لكفاني أن أقول: (آلاء الله محمد وعلي، وعاد وثمود الأول والثاني) وانتبهنا، حتَّى ننتقل إلى مطلب آخر، ولكن لتقريب الفكرة، لتقريب الصورة فأنا بحاجة إلى حشد كبير.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ ماذا قال الإمام الصادق؟ قَالَ: هُم رَهْطٌ مِنَ الشَّيْعَةِ - هؤلاء شيعة - رَهْطٌ مِنَ الشَّيْعَةِ، أفضل مصداق لهم أولئك الذين يدافعون عن ثمود، يبرئون ثمود، أفضل مصاديق ثمود الشيعة، إن شاء الله تعالى نعود في وقت آخر لتفصيل الكلام أكثر وأكثر، وفي الختام :

بِأَلِ مُحَمَّدٍ عُرِفَ الصَّوَابُ وَفِي أَبِيَاتِهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ

هذا هو الصواب.. ولكن الشيعة ظَلَمَت الكتاب وظَلَمَت العترة..

في أمان الله..

وفي الختام:

لأبد من التنبيه إلى أننا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات

المتابعة

القمر

1438هـ

2017 م

برنامج قُرْآنُهُم... متوفر بالفيديو والأوديو على موقع القمر

www.alqamar.tv